وهل الإيمان إلا الحب ؟

٤

حب الصحابة الكرام

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandi.com

وَبعدَ أَنْ دَخَلُوا المَسْجِدَ النَّبويَّ.. وَزارُوا رَسولَ اللهِ ﷺ.. وقَفُوا طَويلاً يتذكَّرونَ بَعضاً من سيرتِه ومشاهدِه و... ، وصلَّوا للهِ رَكعاتٍ في الرَّوضةِ الشَّريفةِ..

بَعدئذٍ عادُوا لِزِيارَةِ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي اللهُ عنهما.

فقال الشَّيخُ (مُصْطَفى): صَدَقَ رسولُ الله ﷺ عندما قالَ: «اقتدُوا باللَّذينِ من بعدِي: أبي بَكْرٍ وعُمَر».

فقَدْ كانَا وزَيري رَسولِ الله في الدُّنيا ، يَستشيرُهُما في كلِّ الملمَّاتِ ، ومن أجلِ أنْ لا يكونَ هُناكَ أيّ حرجٍ في دُخولهِ إلى بَيْتِهما ،

أو دُخولهما إلى بيتهِ ، تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ بابنةِ أبي بَكْرٍ ، السَّيدةِ عَائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، وتزوَّجَ بابنةِ عُمَرَ السَّيدةِ حفصة رضيَ اللهُ عنها.

وكمَا كانَا وَزِيْرَيْهِ في الدُّنيا ، وجاءَ تَرتيبهمَا بعدَهُ في مسألةِ الخِلاَفةِ ، كذلكَ فهمَا إلى جوارِهِ في القَبْرِ أيضاً ، ولذلكَ فما منْ مُسلمٍ يزورُ رسولَ الله إلا ويزورُ وزيريهِ أيضاً.

إلى زِيارَةِ البَقيعِ

وخرجَ المَوكبُ من المَسجدِ النَّبويّ باتِّجاهِ مَقْبَرَةِ البَقيعِ ، وَوَقفَ الشَّيخُ (يحيى) ليتحدَّثَ بكلمةٍ عن الصَّحابةِ الكرامِ ، ولكنَّ البكاءَ غلبَهُ.

فأشارَ إلى الأُستاذِ (نُور الهُدى) لكنَّ الطَّالِبَ

اللاَّمِعَ (حُسين) راحَ يتلُو من أواخِرِ سورةِ الفَتْحِ قولَهُ تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

فَقالَ الأُستاذُ: صَدَقَ اللهُ العليُّ العظيم، وبارَكَ اللهُ فيكَ يا حُسين، وجَعلكَ من الصَّالحين.

وَلقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ: «خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهُمْ ثمَّ الذين يَلونَهم، ثُمَّ يجيءُ أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدِهم يَمِيْنَهُ ويمينُه شهادَتهُ».

وقالَ أيضاً: «مثلُ أصحَابِي مثلُ النُّجومِ مَنِ اقتدَىٰ بشَيءٍ منهَا اهتدَى».

وحذَّرَ رسولُ الله من أَنْ يُساءَ لأحدٍ من أصحابِهِ ، فقال: «لا تَسبُّوا أصحابِي ، فلو أنَّ أحدَكُمْ أنفقَ مِثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نصِيفهُ».

وحذَّرَ أيضاً من بُغضِهم وإيذائهم ، فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اللهَ اللهَ في أصحابِي ، لا تَتَّخذوهُمْ غَرضاً بَعدي ، فمنْ أحبَّهُمْ فَبِحبِّي أَحبّهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقدْ آذى الله ، ومَنْ آذىٰ اللهَ يُوشكُ أَنْ يأخُذَهُ».

لذلكَ ، فكلُّ الصَّحابةِ لهم فضلٌ كبيرٌ ومكانةٌ عظيمةٌ ، ولو كانوا مُتفارقينَ في الأفضليةِ ، ولن يبلغَ أحدٌ بعدهُم مكانَتَهُمْ ، ويَكفِي أنَّهُمْ ضحَّوا معَ رسولِ الله بكلِّ ما يملكونَ ، وقاتَلوا

obeikandi.com

واسْتُشْهِدُوا في سبيلِ نصرِ هذا الدِّين الحَنيفِ.

وقد سُئلَ الإمامُ عبدُ الله بن المُبارك: أيُّهما أفضل ، معاويةُ بن أبي سُفيان أمْ عُمر بنُ عبد العزيز؟

فكان جوابُهُ جَواباً دقيقاً: والله ، إنَّ الغبارَ الذي دخلَ أنفَ مُعاويةَ معَ رسولِ الله ﷺ أَفضلُ من (عُمَر) بِألفِ مَرَّةٍ ، ولقدْ صلّىٰ معاويةُ خلفَ رسول الله فَقالَ: سَمعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه ، فقالَ مُعاويةُ: ربَّنا ولكَ الحَمدُ ، فمَا بعدَ هذا؟

وقَدْ وَجَّهَنَا القُرآنُ الكَريمُ إلى كيفيَّةِ التأَدُّبِ معَ صحابةِ رسولِ الله ﷺ فقال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقد منحَ اللهُ تعالى الصَّحابةَ أوسمةً

وشهاداتٍ لا مثيلَ لَها ، ومن ذلكَ قولُه تعالى:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

وقولهُ أيضاً:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾

[التوبة: ١٠٠].

ورَحِمَ اللهُ القاضِيَ عِياضاً عندَما رسمَ الطَّريقَ إلى ذلكَ ، فقالَ:

ومن تَوقِيرِهِ وبرّهِ ﷺ توقيرُ أصحابِهِ وبرُّهم ومعرفةُ حقِّهِم ، والاقتداءُ بِهِمْ ، وحُسْنُ الثَّناءِ عَليهِم ، والاستغفارُ لَهُمْ ، والإمساكُ عمَّا شَجَرَ بينهُمْ ، ومعاداةُ من عاداهُمْ.، ولا يُذكرُ أحدٌ منهُمْ بسوءٍ ، ولا يُعابُ

عليهِ أمرٌ ، بلْ تُذكرُ حَسَناتُهم وفَضَائِلُهم ، وحَمِيدُ سيرتِهم ، ويُسكتُ عَمَّا وراءَ ذلكَ..

كَمْ كانَ تَعدادُ الصَّحابةِ الأكَارِم؟!

سَألَ (مُهتدي): ومن هُوَ الصَّحابيُّ؟

فأجابَهُ الأستاذُ (زَينُ العابدين):

قال العلاَّمةُ ابنُ كَثيرٍ رَحمهُ الله: الصَّحابيُّ هوَ مَنْ رأَىٰ رسولَ الله ﷺ في حالِ إسلامِ الرّائي ، وإنْ لم تَطُلْ صُحْبَتُهُ وإنْ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ شَيئاً.

واشترطَ الفُقهاءُ زيادةً على ذلكَ: وطالتْ صحبتهُ ، وكثرَ لقاؤهُ بهِ ، على سبيلِ التّبعِ لهُ ، والأخذِ عنهُ ، وإنْ لم يَروِ عنه شيئاً.

فسَأَلَ مَرَّةً ثانيةً: وكم تعدادُ الصَّحابة؟

فتابعَ الأستاذُ (زَينُ العابدين): لا يعلمُ حقيقةَ ذلكَ إلاّ الله تعالى ، وذلكَ لكثرةِ من أسلمَ منْ أوَّلِ البعثةِ إلى وفاةِ النَّبيّ ﷺ وتقرّقِهم في البلدانِ والبَوادِي.

ولكن هناكَ بعضُ الرِّواياتِ الَّتي تُشيرُ إلى قرابةِ عددِهم ، فَمَثلاً:

يَروي أَبو زُرعةَ الرَّازي فيقولُ: تُوفِّيَ النَّبيُّ ﷺ ومن رآهُ وسمعَ منهُ زيادةٌ على ألفِ إنسانٍ من رجلٍ وامرأَةٍ.

ويَروي الإمامُ مالكٌ رحمهُ اللهُ فيقولُ: ماتَ رسول الله ﷺ وبالمدينةِ منَ الصَّحابةِ عشرةُ آلافٍ.

ورُويَ أنَّهُ ﷺ قُبِضَ عن مئةِ ألفٍ وأربعةٍ وعشرينَ ألفاً من رجلٍ وامرأَةٍ.

لماذا نَالُوا المكانةَ السَّاميةَ؟!

سألَ (معتزٌّ): ولكنْ ماذا قَدَّمَ الصَّحابةُ الكِرامُ حتّى نالُوا هذه المكانةَ؟

واعتدلَ الشَّيخُ (يحيى) وقالَ:

أَجلْ! يا بنيّ ، إنَّ الأممَ السَّابقةَ كانتْ في موضعٍ مُختلفٍ عن وضعِ هذه الأمَّةِ ، فما أنْ يُرسلَ اللهُ إليهم نبياً أو رسولاً حتى يَقِفُوا في وجههِ ويكذِّبُوهُ ، بل وصلتْ وقاحتهُمْ إلى قتلِ بعضِ الأنبياءِ عليهم السَّلام!

ولكنَّ اللهَ سبحانَهُ اختارَ من البَشر صفوةً تؤمنُ برسالةِ خاتَمِ الأنبياءِ ، وكانوا ضِعافاً وفقراءَ وعبيداً ، ولكنَّ قلوبَهُمْ كانَت تنبضُ بحبِّ اللهِ ورسولهِ ، فباعُوا كلَّ شيءٍ ، وضَحَّوا في سبيلِ نَشرِ الدَّعوةِ بكلِّ شيءٍ ، وعُذِّبوا

فصمَـدوا ، واضْطُهِـدُوا فصبـرُوا ، واسْتُشْهِـدَ بعضُهم فنالَ الدَّرجاتِ العليا ، فكانُوا بحقٍّ نموذجاً فريداً ، لذلكَ لو رحنَا نتأمَّلُ في سِيْرَتهم لوجدنا العجبَ العُجابَ.

عن عُروةَ عن أبيهِ قال: كانَ وَرَقَةُ بن نَوفَل يمرّ ببلالٍ رضي اللهُ عنه وهوَ يُعذَّبُ ، وهو يقولُ: أحدٌ أحدٌ ، فيقولُ ورقةٌ: أحدٌ أحدٌ اللهُ يا بلال.

ثُمَّ يُقبِلُ على أميَّة بن خلفٍ وهوَ يصنعُ ذلكَ ببـلالٍ فيقـولُ: أحلـفُ بـاللهِ عـزَّ وجـلَّ ، لئـن قَتَلْتُمُوهُ على هذا لأتَّخِذنَّهُ حَناناً ـ أي مكاناً للزيارة ـ.

حتَّـى مـرَّ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ يوماً فقال لأميَّة: ألا تتَّقِي اللهَ في هذا المسكين؟ حتَّى متَّى؟

قالَ: أنتَ أفسدتهُ فأنقِذْهُ ممَّا ترى.

فَاشتراهُ أبو بكرٍ وأعتقهُ في سبيلِ اللهِ!!

وسَببُ تَسميةِ غزوَة (ذات الرِّقاع) بهذهِ التَّسميةِ ما رواهُ ابنُ عساكر عن أبي موسىٰ الأشْعريِّ رضيَ اللهُ عنه قالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ في غزاةٍ ونحنُ ستَّةُ نفرٍ بيننَا بعيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَنقبتْ أقدامُنَا ـ أي: رقَّتْ جُلودُها من المَشِي ـ وسقطتْ أَظفارنَا ، فكنَّا نلفُّ على أَرْجُلِنا الخِرَقَ!!

فَلمَاذا نُحبُّهم؟!

سألَ الطَّالبُ الذَّكيّ (مُهتدي): إذاً فلماذا نُحبُّ صحابةَ رسول اللهِ؟

ويجيبُ (الشَّيخُ مصطفى): لأنَّ هناكَ عدَّةَ أمورٍ تميَّزُوا بها ، منها:

١ ـ هُناكَ عددٌ كبيرٌ من الآياتِ القُرآنيةِ تحضُّ على حبِّهم، وتبيِّنُ فضلهُمْ ومكانتهُمْ، مِنْ ذلكَ قولهُ تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤].

٢ ـ وَهُناكَ طائفةٌ منَ الأحاديثِ النَّبويّةِ التي تبيّنُ مكانةَ الصَّحابةِ وقدرَهم، وتحضُّ على حبّهم وتَقْدِيْرِهِمْ، من ذلك قولُه صلواتُ اللهِ عليهِ:

«إنَّ اللهَ اختارنِي وَاختارَ لِي أَصحابِي وأَصْهَارِي، وسَيأتِي قومٌ يسبُّونهم،

ويبغضُونَهُمْ ، فلا تُجالسُوهم ، ولا تُشارِبُوهم ، ولا تُؤاكِلُوهُمْ ولا تُنَاكحُوهُمْ».

٣ ـ لِمَا حَمَلوهُ من ميِّزاتٍ نَادرةٍ ، من ذلكَ: أنَّهم عرفُوا رسولَ الله ﷺ قَبْلَ أَنْ تنتصرَ دولتُهُ فآمنوا بهِ ونَصَرُوهُ ، وكذلكَ إنفاقهُمْ أموالَهم في سبيلِ دينٍ لم يظهرْ شأنُهُ بعد ، وكذلكَ فقد نَصَرُوا الدِّينَ أكثرَ ممَّا بايعوا عليهِ ، وتسامَوْا فَوقَ الأحقادِ والأنانيَّاتِ ، وقفزُوا إلى مراتبِ العلياءِ والجَوْزَاءِ ، وَآثروا بكلِّ ما يَملكونَ ، وانتصرُوا على أهوائِهم وشَهواتِهم ، وفضَّلوا كلّ ما عند اللهِ ، فَكانوا بحقٍّ خيرَ أمَّةٍ أخرجتْ للنَّاسِ ، فرضيَ اللهُ عنهم أجمعين ، وحشَرنا معهُمْ يومَ الدِّين ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلاّ مَنْ أتى اللهَ بِقلبٍ سليمٍ.

وصَدَحَ صوتُ (الشَّيخ يحيى) بالقول:

١ ـ ومَنْ أحسنَ الظنَّ في اللهِ الكريم وفي
رَسولهِ كانَ مكتوباً من الشُّرفَا
٢ ـ ومَنْ أحبَّ صحاب المُصطفى فلهُ
جنَّاتُ عَدْنٍ يرىٰ في ظلّها غُرفا
٣ ـ ومَنْ يكنْ باغضاً منهم فإنَّ لهُ
نارَ الجحيمِ ويضحي باكياً أسفا
٤ ـ فَهُمْ نُجومُ الهُدىٰ فِي كلِّ مَظْلمةٍ
واللهُ حَسْبِي فيمَا قُلْتُهُ وَكَفىٰ

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين